

## الفصل الرابع

### علاقة المجتمع الإسلامي بالمجتمع المادي

- سخرية الماديين من المؤمنين - اصرار الماديين على مطاردة المؤمنين هدف من اهدافهم - الاسلام يحرم المصاهرة بين المؤمنين والماديين - حيطة المؤمنين في صلاتهم بالمخالفين للايمان - العدل لا تسقطه خصومة او بغضاء ..

obeykandl.com

## علاقة المجتمع الاسلامى بالمجتمع المادى

### ● سخرية الماديين من المؤمنين :

ظاهرتان أساسيتان يتميز بهما أصحاب الاتجاه المادى فى الحياة . وهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . ويسميه القرآن مشركين ، أو جاهليين .

الظاهرة الأولى : استغراقهم فى حب الحياة الدنيا ومتعتها المادية ، وانخداعهم بها ، واتخاذهم كل سبيل ولو منكراً غير إنسانية للحصول على المال أو المادة ، وردهم كل شىء فى الوجود فى نشأته أو تطوره ومراحل نموه إلى المادة وحدها . يقول تعالى فى وصف خداعهم بالدنيا : « زين للذين كفروا الحياة الدنيا » (١) . . . ويقول فى وصف إثارة المتع المادية على كل قيم إنسانية : « وويل للكافرين من عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة » (٢) . . . ويقول فى توضيح تهافتهم على طلب هذه المتع : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام » (٣) . . . ويشبه إقبالهم على الدنيا فى تهافت لا يميزون فيه بعضهم عن بعض ، بصنيع الحيوانات عندما تشترك فيما يقدم لها من مؤن ، أو فيما تعثر عليه منها . فهى لا تعرف آئذ سوى ذواتها ، وتخاصم كل ذات منها الذوات الأخرى ، ولو كانت أولادها ، أو صاحبة صلة قريبة بها .

الظاهرة الثانية : سخريتهم فى أحاديثهم ، وفى مواقفهم ، وفى حوارهم ، من المؤمنين ، ومن كتابهم ، ومن رسولهم . فلو سئلوا عن القرآن لقالوا : أساطير الأولين : « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين » (٤) . . . ولو سئلوا عن الوحي لقالوا : كذب أعانه عليه قوم آخرون : « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم

(٢) ابراهيم : ٢ ، ٣

(٤) النحل : ٢٤

(١) البقرة : ٢١٢

(٣) محمد : ١٢

آخرون» (٥) . وقالوا عنه هو عليه السلام : إنه مسحور  
« وقال الظالمون ! إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » (٦) . ولو سئلوا عن  
تقييمهم للمؤمنين لأجاب القرآن عنهم بقول الله تعالى : « ويسخرون من  
الذين آمنوا » (٧) .

وسخريتهم من رسالة الله . ومن المؤمنين ، تعود لسبب واحد . وهو أن  
رسالة الله في القرآن تقف من المادية أو الجاهلية موقف المقاومة والكشف  
عن آثارها الضارة والمخربة بالنسبة للإنسانية ، والعلاقات بين الناس .  
والوحي المكى كله في القرآن نزل في الدعوة إلى الوحدة في الألوهية . ونفى  
الشرك والوثنية فيها . والشرك هو إشراك غير الله معه في العبادة . والوثنية  
هي الاتجاه بالعبادة وبالإيمان لغير ذات المولى سبحانه : وبطبيعة الحال  
من يجعلون أنداداً لله ، أو من يتخذون آلهة من دون الله ، يستحيل عليهم أن  
يتكافأوا مع الله . ومن هنا تكون دعوة الشرك والوثنية دعوة إلى إذلال  
الإنسان بجعله عابداً لما لا يستحق العبادة .

أما تقييم الله للمؤمنين فهو أنهم في الجزاء الأخرى فوق هؤلاء الماديين  
في منزلة عليا قطعاً ، بالرغم من أنهم في الدنيا قد يكونون أقل حظاً منهم  
في المال ومتع الحياة : « والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله يرزق  
من يشاء بغير حساب » (٨) . لأن الرزق المادى في الدنيا ليس دليلاً على  
رضاء الله عن صاحبه . بل قد تكون كثرته لمزيد من الابتلاء والاختبار .

وسخريه الماديين للمؤمنين : بسبب إيمانهم ، في محاولة منهم لردهم على  
أعقابهم ، أو لإثنائهم عن مواجعتهم بما قاله الله فيهم من أنهم مصدر الفساد  
في الأرض ، أو لصرفهم عما يطلبه منهم من عدم مودتهم في قول الله تعالى :  
« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا  
آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » (٩) . فلا يجتمع في قلب إنسان  
معاً : إيمان بالله ، ومودة للجاهليين أو الماديين ولو كانوا قريبو الصلة به .

\* \* \*

(٥) الفرقان : ٨

(٨) البقرة : ٢١٢

(٥) الفرقان : ٤

(٧) البقرة : ٢١٢

(٩) المجادلة : ٢٢

## ● اصرار الماديين على مطاردة المؤمنين هدف من اهدافهم :

في وصف الماديين أو الجاهليين في علاقتهم بالمؤمنين ، يقول الله تعالى :  
« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » (١٠) . . .  
فيجعل القرآن أن من سمات الماديين : حرصهم على مقاتلة المؤمنين ، وعلى  
تتبعهم ، وعلى مطاردتهم وملاحقتهم بالأذى والتعذيب ، محاولين ردهم عن  
دينهم ، إن تمكنوا من ذلك . فهدفهم الأخير إذن : رد المؤمنين عن دينهم ،  
عن طريق وسائل القمع والإبادة .

ومن السهل إذن أن يتعرف الإنسان على اتجاه المادية في المجتمع : في  
قيادته .. وفي حكمه .. وفي نظامه ، بالهدف الأول الذي يسعى المجتمع إلى  
تحقيقه . فاتجاه ما يسمى بالثورة فيما بعد الحرب العالمية الثانية : ضد  
المؤمنين - وقد ينعتون بالرجعيين - والتنكيل بهم ، وتتبع تشكيلاتهم  
وتجمعاتهم ، والنيل من أقربائهم وأصدقائهم ، وتدمير المؤامرة تلو المؤامرة  
لتشتيت قوتهم ، والحساسية من ظاهرة التدين وعدها جريمة اجتماعية .  
كل هذا يشير في وضوح إلى سيطرة المادية أو الجاهلية في المجتمع .

وعلى نحو ما يراه الإسلام في الشرك - وهو ظاهرة المادية أو الجاهلية -  
من أنه جريمة لا تغتفر : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويفغر ما دون  
ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً » (١١) . . .  
ترى المادية أو الجاهلية في دين الله أنه صورة من صور الخرافة ، وأسطورة  
من أساطير الأولين . فالمادية ودين الله أمران متنافران ، ولا يمكن أن يتلاءم  
أحدهما مع الآخر ، فأما دين الله فله الغلبة ، وأما المادية فلها الكلمة . والقرآن  
الكريم لهذا يفسح في الوحي المكي المجال ليوضح الآثار الضارة على البشرية ،  
عندما تطفئ الجاهلية أو المادية ، وتسود مجتمعا من المجتمعات الإنسانية :  
« الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم  
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، اولئك اصحاب النار ، هم فيها  
خالدون » (١٢) . . .

ويجب على المؤمنين إذن ألا يفارقهم الاعتقاد لحظة ما : بأنهم هدف

(١١) النساء : ٤٨

(١٠) البقرة : ٢١٧

(١٢) البقرة : ٢٥٧

للماديين أينما كانوا . ومن هنا يجب أن يكونوا محتاطين في معاملاتهم ،  
وَألا يسعوا إلى التقرب منهم إلا في حدود الضرورة ، وألا يتخذوا  
منهم أنصارا أو أولياء وأصدقاء « إنما وليكم الله ورسوله والذين  
آمَنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون . ومن يتول الله  
ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » (١٣) . فالنصر معقود  
لدائرة المؤمنين إن هم اتخذوا الله ورسوله أولياء ، واتخذوا كذلك : بعضهم  
أولياء بعض . وما يوجهه الله جلت قدرته من نداء للمؤمنين في أول سورة  
المتحنة كليل بأن يفتح عيونهم على الخطأ الجسيم ، إن هم قدروا عدوهم  
الحقيقي - وهو المادى أو الجاهلى فى كل عصر - على غير ما هو عليه واقعه  
الذى يكشفه هنا قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم  
أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ( فقد جعل هؤلاء  
الماديين أو الجاهليين أعداء لله ، وأعداء للمؤمنين بالتالى .  
لأنهم كفروا بالدين وهو رسالة الحق ، فمن الخطأ أن يد المؤمنين إليهم  
يد المودة وعلاقة القربى ) يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم  
( ثم يوضح لماذا ينهى الله عن أن تكون للمؤمنين علاقة مودة مع هؤلاء  
الماديين : بأنهم اضطهدوا المؤمنين بسبب إيمانهم فتبعوهم حتى أخرجوهم  
من ديارهم وحملوهم على الهجرة إلى يثرب ) ان كنتم خرجتم جهاداً فى  
سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ،  
ومن يفعلهم منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء  
ويستولوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » (١٤) .  
ويزيد القرآن هنا فى سبب النهى عن مودة الماديين فيقول : إن كفرهم  
بالحق ، واضطهادهم المؤمنين وهم بمكة على عهد الرسول عليه السلام بسبب  
إيمانهم ، لم يكن صدفة ، كما لم يكن مقصودا به أشخاص الرسول عليه  
السلام ، وصحابته من المؤمنين المكين وحدهم . وإنما عداوتهم أصيلة  
للإيمان . فأينما وجدوا الإيمان بالله - فى أى مكان ، وفى أى عصر ، وأينما  
وجدوا المؤمنين من العرب أو غيرهم على السواء ، فهم أعداء لهم :  
« ان يثقفوكم ( بعنوان كونكم مؤمنين فى أى مكان : اليوم ، أو غد )  
يكونوا لكم أعداء ويستولوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون »

فهم لا يتخرجون من إيدائكم بكل وسيلة تنال من ماديائكم ومعنوياتكم إذ هدفهم الأخير ردكم عن دين الله ، وعودتكم كفاراً تكرون الله واليوم الآخر ، ولا تحرمون ما حرم الله ورسوله .

\* \* \*

### ● الإسلام يحرم المصاهرة بين المؤمنين والماديين :

إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر .. ويحرم ما حرم الله ورسوله ..  
وإنسان آخر يكفر بالله واليوم الآخر .. ولا يحرم ما حرم الله ورسوله ..  
.. إنسان يؤمن بالروابط الإنسانية ، ويمارس المحبة والمودة والإخاء والتعاون مع الآخرين .

وإنسان آخر لا يؤمن إلا بالمبادلات والمنافع المادية في العلاقات ، ويمارس الأناية ، والحقد ، والاتهازية ، والنفاق مع الآخرين .

.. إنسان يعطى من نفسه ، وهو من أولئكم الذين يطعمون الطعام على حبه مسكينا ، ويتيما وأسيراً ، ومع ذلك يقولون : « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » (١٥) ..

وإنسان آخر لو سئل عن معاونة الآخرين كان من أولئكم الذين يقولون تهكما : « انطعم من لو يشاء الله اطعمه » (١٦) .. لأنه من أولئكم الذين يأكلون التراث أكلاً لما ، ويجون المال حباً جماً .

.. إنسان يدعو إلى الخير ، ويمشى في النور ، ويحرص على أن تظل سبيل الله مستوية .

وإنسان آخر لا يعرف الخير إلا لذاته ، ويمشى في ظلمات الضلال والحيرة ، ويبغى أن تكون سبيل الله معوجة .

.. إنسان يرى الحياة الدنيوية مرحلة إلى حياة أخروية أفضل منها في النوع ، وهو من أجل ذلك يعمل للمرحلتين ، ومن الذين يقولون :

(١٦) يس : ٤٧

(١٥) الانسان : ٩

« ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (١٧) ..  
وإنسان آخر لا يرى إلا هذه الحياة ، وهو من أولئك الذين يقولون :  
« أن هي إلا حياتنا الدنيا » (١٨) .. أو على الأقل من أولئك الذين  
يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة .  
.. إنسان يعبد للناس طريق الهداية .  
وإنسان آخر يصد عن سبيل الله .  
.. إنسان يفرح بفضل الله على رسوله عليه السلام ، فيما أوحى إليه من  
قرآن وفيما كلفه من دعوة التوحيد في الألوهية .

وإنسان آخر هو من أولئك الذين « إذا ذكر الله وحده اشمازت  
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم  
يستبشرون » (١٩) ..  
.. إنسان يعتز بصلته بالله ويتوكل عليه وحده .

وإنسان آخر من أولئك الذين إذا سئلوا عما يعتزون به في الحياة قالوا  
« نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعدين » (٢٠) ..

هذان النوعان من الإنسان ، أحدهما يؤمن بالله والآخر يشرك به . وهما  
لا يلتقيان أبداً . وليس بينهما جامع مشترك سوى الطبيعة البشرية التي  
تحددت بالفعل باتجاه كل منهما في الحياة ، وهو اتجاه يخالف الآخر تماما .  
والفجوة بين النوعين كبيرة ، وليس من السهل التغاضي عنها . ولذا  
يحرم الإسلام : أن يتزوج مؤمن مشركة . وهي المادية التي تكفر بالله ، وتنكر  
اليوم الآخر ، كما يحرم أن يتزوج مشرك مؤمنة . في الوقت الذي يبيح فيه  
للمؤمن أن يتزوج كناية : نصرانية أو يهودية : « ولا تنكحوا المشركات حتى  
يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » ( أى طالما بقيت المشركة  
على شركها فلا يجوز اقتران المؤمن بها . وفي هذه الحالة الأمة المؤمنة  
— وهي الرقيقة — أفضل منها . لأنها بإيمانها قريبة إلى قلب المؤمن ) ..

(١٨) الأنعام : ٢٩

(١٧) البقرة : ٢٠١

(٢٠) سبأ : ٣٥

(١٩) الزمر : ٤٥ بلفظ : « وإذا ... »

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم « (٢١) .. كذلك طالما بقى المشرك على شركه فلا يجوز لمؤمنة أن تقترن به . وفي هذه الحالة العبد المؤمن - وهو الرقيق - خير منه ، للسبب ذاته ، وهو أنه بإيمانه قريب إلى قلب المؤمنة .

وتعلل الآية تحريم زواج المؤمنة من المشرك ، والمشركة من المؤمن بقول الله تعالى : « أولئك يدعون إلى النار » (٢٢) .. أى أن المشركين بشركهم يوجهون غيرهم إلى الكفر برسالة الله ويسوقونهم عن طريق الخداع بالحياة المادية ، والانحراف والطغيان بها ، إلى عذاب النار في الآخرة . بينما دعوة الله في رسالته التى يحملها الرسول - أى رسول - والتى يؤمن بها أتباعه . توصل إلى المستوى الإنسانى فى الحياة ، وبالتالي توصل فى الآخرة إلى الجنة ، كما توصل إلى غفران الله - إن شاء - عن الأخطاء التى تكون قد ارتكبت قبل الإيمان .

وهكذا : فرق واضح بين المصير إلى النار .. والمصير إلى الجنة ، كالفرق فى الدنيا بين المشرك أو المادى أو الجاهلى من جهة ، والمؤمن بالله من جهة أخرى .

\* \* \*

#### ● حيلة المؤمنين فى صلاتهم بالمخالفين للإيمان :

.. مبدأ يبقى على المجتمع تماسكه وبقائه وهو أن يكون ولاء الأفراد فيه لبعضهم بعضاً ، وليس لأجنبى عنهم مخالف لهم ، دونهم . ومعنى الولاء : الصداقة .. المحبة .. المودة .. والطاعة .. والتعاون . وهذا المبدأ يحرص القرآن الكريم كل الحرص على أن يكون سائداً فى مجتمع المؤمن ، لصالح المجتمع ، ولصالح المؤمنين أنفسهم . يقول الله تعالى :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، (أى لا يرتبط أفراد المجتمع الذين تتميز علاقتهم ببعض بالمعانى الإنسانية ، بصداقة مع غيرهم ممن لا يرون فى الحياة إلا المبادلة المادية ، متجاوزين بها إخوانهم فى الإيمان ) ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء (ومن يصادق

(٢٢) البقرة : ٢٢١

(٢١) البقرة : ٢٢١

المخالفين له ، دون إخوانه في الإيمان : فليس مطيعاً ولا مؤمناً بشيء على سبيل الحقيقة مما ينصح الله المؤمنين به . وهذا الحكم ينطوي على تحذير شديد في إشار المخالف بالولاء والصدقة ، دون المؤمنين الآخرين ) .  
إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ( إلا في حالة واحدة يؤذن فيها للمؤمنين بالتعبير عن الولاء للمخالف وهي تقاة صلفه وطغيانه ، في وقت لا تملك فيه الأمة المؤمنة مواجهة هذا المخالف : في قوته ، وفي إعداده للانقضاض والتشتيت ) .  
ويحذركم الله نفسه ، ( بسبب مخالفة ما يأمركم به هنا ) وإلى الله  
المصير )) ( ٢٣ ) ..

وإذ ينهى الله عن ولاء المؤمن للمخالف له ، مؤثراً له على ولائه للمؤمن معه في مجتمعه فإنه يكشف له عن الموقف النفسى الذى لا يجيد عنه المخالف لدين الله ضد المؤمن به . وهو عدااء ، وتربص ، وأمل يجب أن يحيط به كل عاقل .

أما العدااء فيكمن في مواصلة الجهد في الوقية بين المؤمنين وإفساد أحوالهم .

وأما التربص فإنهم يتربصون بهم السوء والشر دائماً .

وأما الأمل ففى الرغبة الدفينة فى أن يسود العنت وتسود المشقة حياة المؤمنين . يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ( أى من مخالفين لكم فى الاتجاه والإيمان فى الحياة . والبطانة هى النخبة المختارة التى تؤتمن على الأسرار ، ويوثق بها عند المشورة ) لا يالوتكم خبالاً ( أى لأنهم دائبو السعى لإفساد أحوال المؤمنين ) ودوا ما عنتم ( ولأنهم يرغبون ويؤملون فى إبقاعهم فى المشاكل والمشاق والعنت ) قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، ( وفى المناسبة تلو المناسبة تبدو منهم البغضاء للمؤمنين عند الحديث معهم ، ولكن ما تخفيه نفوسهم ضدهم أعظم بكثير )  
قد بينا لكم الآيات ، ان كنتم تعقلون » ( ٢٤ ) .. إلى أن يقول :

« ان تمسككم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، ( وأملهم في أن تسوء أوضاع المؤمنين دائماً . لأنهم يفرحون بذلك . وهم يتمنون أن يكونوا دائماً فرحين ) وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، ( ولا يرهبكم أيها المؤمنون ضجيج أعدائكم المخالفين لكم في اتجاهكم وفي دينكم في الحياة ، ولا يخيفكم تدييرهم للمؤامرات ضدكم في داخل مجتمعاتكم وفي خارجها . وبالصبر وباتقاء الله وطاعته فيما أمر أو نهى عنه يمكنكم أن تتقوا ضررهم وما يبيتون لكم من سوء ) ان الله بما يعملون محيط » (٢٥) .. ( قاله الذي ينصحكم بانقاذ هذا الموقف من مخالفيكم في الإيمان يعلم تمام العلم بنفوسهم وبمدى جهدهم في الباطل والضلال . فهو إذ ينصحكم على علم شامل بما يدور حولكم وفي الكون كله ) .

وهكذا لا يتوزع الولاء في المجتمع الإسلامي بين داخله وخارجه . اتجاه الولاء فيه واحد ، نحو المجتمع نفسه والمؤمنين فيه وخدمهم دون غيرهم . ومن يفعل غير ذلك ويولى وجهه جهة أخرى أجنبية عنه ، فليس من دين الله في شيء .

والعاقل وحده هو الذي يدرك أبعاد هذا المبدأ من مبادئ القرآن في المجتمعات الإنسانية .



#### ● العدل لا تسقطه خصومة أو بغضاء :

حرص الإسلام على العدل وتطبيقه بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، أو مع أعدائهم هو حرص منه على وصول الحق لأصحابه أيأ كان موقفهم . فالعدل يجب أن يقر في ذاته وأن تنحى عن طريقه العقبات النفسية ، وهي عقبات الخصومة والعداوة والبغضاء . فهو الركيزة في علاقات الناس ، وهو الدليل العملي على أن المؤمنين بالله أصحاب إنسانية في علاقاتهم بغيرهم .

ليس غريباً أن يباشر المؤمنون مبدأ العدل فيما بينهم ، أو أن يوصى

(٢٥) آل عمران : ١٢٠

الدين بممارسته في تعامل بعضهم مع بعض . ولكن إنسانية الدين تبدو في أن يأمر المؤمنين به أن يحكموا بالعدل بين الأعداء إذا التجأوا إليهم أو بين بعض من هؤلاء ببعض آخر من المؤمنين . يقول القرآن الكريم :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاةُ سُوءِ عَمَلِكُمْ عَلَىٰ الْإِثْمِ ، (أَي لَا تَحْمِلْكُمْ عِدَاوَةٌ مَجْمُوعَةٌ مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ عَدَمِ الْعَدْلِ مَعَهُمْ ) اذْعَبُوا دُونَكُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢٦) ..

وتأكيد القرآن لمباشرة العدل مع الأعداء يجعل من القيم العليا في حياة الناس مبادئ لا تتغير إطلاقاً ، كما يجعل منها مؤثلاً تطمئن إليه النفوس :  
بعض النظر عن الاختلاف بين الأفراد أو الجماعات في النظرة إلى الحياة .  
.. إن في إلزام المؤمن بأن يعدل مع خصمه أو عدوه ، دعوته إلى عدم تحكيم الميول والنزعات في قضية أساسية يتوقف عليها نظام المجتمع . وهي قضية إحقاق الحق في ذاته .

وإذا كان يطلب من المؤمنين أن يعدلوا مع خصومهم فبالأولى يطلب من طوائف المسلمين ومجموعاتهم أن يمارسوا العدل فيما بين طوائفهم ومجموعاتهم ، مجموعة الرعية مع حكامهم ، ومجموعة العمل مع أصحابه .  
أي مجموعة مع أرباب العمل .

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ (أي اختلفوا وتخاصموا إلى درجة القتال بعضهم لبعض) فأصلحوهما ، ( .. فيطلب من المؤمنين جميعاً . وفي مقدمتهم الولاة والحكام - أن يتدخلوا بالصلح : فيما بين طائفة وأخرى .. وأن يكون الصلح قائماً على أساس العدل الواضح : ﴿ ناصحوناً بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين ﴾ (١٧) .. ولا يرضى بحال أن تفتت طائفة على حقوق طائفة أخرى ، أو أن تمارس طائفة الاعتداء في صورته العديدة على طائفة أخرى . وعندما يقع مثل هذا الاعتداء يجب على الأمة التصدي له ( فإن بغت علينا علينا على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفيء إلى أمر الله ﴾ (٢٨) ..

(٢٧) الحجرات : ٩

(٢٦) المائدة : ٨

(٢٨) الحجرات : ٩

فالإسلام لا يرضى لأرباب العمل مثلاً أن يعتدوا على حقوق العمال في الحياة الكريمة . كما لا يرضى للعمال أنفسهم - فضلاً عن أن يوصيهم - بأن يسلكوا مسلك الاعتداء على أرباب العمل في رؤوس أموالهم بالتخريب ، أو بما يجر إلى خسارتهم بالتوقف عن العمل ، أو بعدم اتقانه أو بالإساءة إليه في صورة ما .

ويعلل وجوب تدخل الأمة ، وفي المقدمة الولاية والحكام ، عند نزاع الطوائف : بأن المؤمنين جميعاً إخوة من جانب ، وبأنهم جميعاً أصحاب اعتبار واحد في الإنسانية من جانب آخر ، ومن أجل ذلك يعقب القرآن على الآية السابقة ، بقول الله تعالى : « **انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » (٢٩) ..

ثم بقوله : « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** » (٣٠) ..

وقضية الأخوة والمساواة في الاعتبار البشري بين الطوائف جميعاً تقضى بالألا يكون ظلم أصلاً ، فإن وقع ظلم أو اعتداء من طائفة على أخرى بسبب خلاف بينهما فالأمة كلها مطالبة بالتدخل لإصلاح الشأن وتحقيق العدل في ذاته .

وهكذا من تربية المؤمن : أن يروض نفسه على العدل مع نفسه وغيره ومع عدوه الخارجي ، ومخاصمه في الداخل ، والمؤمنون لو عرفوا دينهم ما نصحوا بعض طوائف الأمة بسفك الدماء أو بالتخريب وتبديد الأموال في سبيل تحقيق حق مشروع أو متوهم لهذا البعض .

\* \* \*